السقوط الحضاري في القصص القرآني

د. ثريا محمد امساهل - قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية الزاوية - جامعة الزاوية

The decline of civilization in the Quranic stories

Thuraya Mohamed Emsahel

Research Summary:
This research aims to study the phenomenon of civilizational decline from a Quranic perspective, by analyzing the stories contained in the Holy Quran relating to previous nations and civilizations. The study focused on uncovering the factors that led to the collapse of these civilizations, by examining God's laws in societies as mentioned in stories such as Aad, Thamud, the people of Noah, Lot, and Pharaoh.
This research relied on the analytical and deductive approach, tracing verses related to the decline of civilizations and analyzing the historical, moral, and social contexts referenced in the Quranic text. The study concluded that civilizational decline in the Quran is not merely a result of material factors, but rather a reflection of an imbalance between values and human behavior, the absence of justice, the spread of corruption, arrogance, and aversion to divine messages. The results also showed that the Qur'anic stories provide a comprehensive model of the laws of rise and fall, establishing a moral civilizational vision based on faith, justice, and reform as essential elements for the continuation of human civilization. The study recommends drawing inspiration from this vision in addressing the contemporary civilizational challenges facing the Islamic nation.
Keywords: Civilization, Fall, Stories

الملخّـــــــــص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة السقوط الحضاري من منظور قرآني، وذلك من خلال تحليل القصص التي تضمنها القرآن الكريم والمتعلقة بأممٍ وحضاراتٍ سابقة. وقد ركّزت الدراسة على الكشف عن العوامل التي أدّت إلى انهيار هذه الحضارات، من خلال استقراء سنن الله في المجتمعات كما وردت في قصص مثل عاد، وثمود، وقوم نوح، ولوط، وفرعون.

واعتمدت في هذا البحث على المنهج التحليلي الاستنباطي، من خلال تتبع الآيات المتعلقة بسقوط الحضارات، وتحليل السياقات التاريخية والأخلاقية والاجتماعية التي أشار إليها النص القرآني، وخلصت الدراسة إلى أن السقوط الحضاري في القرآن ليس مجرد نتيجة لعوامل مادية فحسب، بل هو انعكاس لاختلال التوازن بين الجانب القيمي والسلوك الإنساني، وغياب العدل، وانتشار الفساد، والاستكبار، والإعراض عن الرسالات الإلهية.

كما أظهرت النتائج أن القصص القرآني يقدم نموذجًا متكاملاً لسنن النهوض والسقوط، ويؤسس لرؤية حضارية أخلاقية ترتكز على الإيمان، والعدل، والإصلاح، كعناصر أساسية لاستمرار العمران البشري. وتوصي الدراسة بضرورة استلهام هذه الرؤية في معالجة التحديات الحضارية المعاصرة التي تواجه الأمة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الحضارة- السقوط- القصص.

توطئة:

نزل القرآن الكريم منهاج هداية للإنسان في حياته الخاصة والعامة، وكان قصصه يتحرك في هذا المقصد الشامل، فلم يكن للتسلية والتخييل، بل كان للاعتبار ورسم نماذج الأمثال، في تنظيم حياة الفرد والجماعة، وتوجهت مشاهد قصصه إلى الكشف عن مكنونات النص القرآني في توجيه الإنسان إلى طرائق التوافق مع محيطه المتعدد المدارات: فكرية، واجتماعية، وتنظيمية، بما يعرف في المفهوم الحديث بدلالة الحضارة، فكانت له إشارات في العلاقة بين النشاط الفردي للإنسان، والمسيرة الحيوية للمجتمع؛ لذلك فإن القرآن في قصصه يهتم بذكر ما له أثر في بيان تلك العلاقة.

إشكالية البحث وتساؤلاته:

كيف يعرض القرآن الكريم ظاهرة السقوط الحضاري وما هي السنن التي تحكمها؟ وقد حاولت الإجابة عن الأسئلة الآتية من خلال المحاور:

- كيف أَصّلَ القرآن مفهوم الحضارة؟
- كيف دلت بعض المشاهد القصصية في القرآن على أسباب سقوط الحضارات؟
- وما ذكرته ورد على سبيل الاستشهاد، لا الاستيعاب لجميع دلائل أسباب سقوط الحضارات في القصص القرآن الكريم.

تلك الأسئلة أحاول الإجابة عنها هذا البحث، الذي يحوي مقدمة مختصرة في الإشكالية، والأهمية والأهداف، وثلاثة مباحث:
المبحث الأول : مفهوم الحضارة لغة واصطلاحاً. والمبحث الثاني: مفهوم الحضارة في القرآن الكريم. والمبحث الثالث: العوامل المؤدية إلى السقوط الحضاري في القصص القرآني. وختمت البحث بالخاتمة بأهم النتائج التي أمكن التوصل إليها.

أهداف البحث:

يسعى البحث لتحقيق الأهداف التالية:
ـ معرفة أَصّلَ القرآن مفهوم الحضارة.
ـ توضيح بعض المشاهد القصصية في القرآن على أسباب سقوط الحضارات.
ـ هذا وما ذكرته ورد على سبيل الاستشهاد، لا الاستيعاب لجميع دلائل أسباب سقوط الحضارات في القصص القرآن الكريم.

أهمية البحث:

ترتكز أهمية البحث في أثر القرآن وتطوره وصموده أمام الحضارات المنافسة لها، مع تفعيل للاستنباط واستنطاق تلك المشاهد القصصية النافذة إلى القلوب والأفهام، ولا ندعي أننا جئنا بما لم يُسبق إليه، بل كان عملنا يصبُ في إثارة العقول، حتى تلتفت إلى أهمية القصص القرآني في الاهتداء به إلى إصلاح الحياة الفردية والجماعية، بما يُسهم في تقوية كيان الأمة؛ حتى تسير في طريق النهوض بين الأمم متبوعة لا تابعة قائدة لا مقودة، معتقدين أن قصص القرآن ليس سرداً للتاريخ باستحضار تفاصيل الحوادث، وليس أثر أدبياً يستدر الوجدان ويستثير الخيال، بل هو محور في منهج الهداية والإصلاح في القرآن، يسترشد بهدايته، كما يتعبد بتلاوته فهو نص مقدس، ونص حضاري معاً، مع ما يضبطه من موافقات لحقائق التاريخ ودعائم الحضارة، وسنن التطور، وما يمتع به الحس الجمالي لدى المتلقي من تصوير بياني، ودقة دلالية، وعمق في الإيحاء وجمال في الإيقاع، فهو نص مفتوح على الكون في عموم الزمان والمكان بما يلبي الحاجات الروحية للإنسان، ويحثه على الارتقاء في سلم الحضارة.

منهجية البحث:

تحليل النصوص القرآنية المتعلقة بالموضوع وتحليلها وفق المنهج الاستنباطي والتأويلي.

المبحث الأول ـ مفهوم الحضارة لغة واصطلاحاً.

هناك علاقة وظيفية بين اللغة والفكر، لذلك فإن المفاهيم الفكرية مثل مفهوم الحضارة يستمد أصل مادته من الاستعمال اللغوي الذي تطور في العقل الجمعي حتى استقل بمفهومه الذي تميز عن ذلك الأصل اللغوي، وهذا الشأن في جميع المفاهيم المصطلح على حدود ألفاظها، فأصل مادة الحَضارة(بفتح الحاء وكسرها) من الفعل حضر، الدال على معنى وسيط بين هذا الأصل اللغوي والمفهوم المتطور وهو الاستقرار، حيث الحضور يؤدي إلى هذا الوسيط الذي هو من ضرورات الحضارة، ورد في لسان العرب" حضر بمعنى شهد، أي الحضور كنقيض المغيب حضر يحضر حضوراً، وحضارة... والحضر خلاف البدو، والحاضر خلاف البادي... المقيم بالبادية... ويقال: فلان بدوي، والحضارة الإقامة في الحضر"[1].

وجاء في القاموس المحيط ما يؤصل معنى القرار في مادة حضر:" حضر... كنصر وعلم حضوراً وحضارة، ضد غاب، والحضرة، والحاضرة، والحضارة، بفتح، خلاف البادية، والحضارة: الإقامة في الحضر"[2]. ويلامس المعجم الوسيط مفهوم الحضارة من خلال تطور المعنى اللغوي الدال على الحضور، فجاء فيه" الحاضرة: القوم الحضور، وحاضرة الشيء: القريبة منه، وفي التنزيل العزيز:﴿**وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ**﴾الأعراف، الآية163، وخلاف البادية، وهي المدن، والقرى، والريف، والحضارة الإقامة في الحضر... ضد البداوة، وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني ومظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضر"[3]. فيكون الاجتماع في مكان مستقر هو الخاصية الفارقة بين الحضارة والبداوة، ويكون الاجتماع في المدن والقرى، مما سوغ التعبير عن الحضارة بالمدنية فهي من مقارباتها.

ونظر ابن خلدون إلى مفهوم الحضارة في المنجز المادي، والمظهر المترف، والأثر الفني دون أن يتسع المفهوم في نظره ليشمل الوضع القيمي للمجتمع الحضري فقد قال:" الحضارة كما علمت هي التفنن في الترف واستجادة أحواله، والكلف بالصنائع التي توثق من أصنافه وسائر فنونه"[4].

في حين يعرف مفكرون غربيون الحضارة تعريفاً تتجلى فيه تفعيل الأمم للقيم الأخلاقية والاستمدادات المادية، فيعرفها اشوايتزرAlbert Aschweitzer بقوله:" الحضارة في جوهرها أخلاقية وكل العناصر الجمالية والتاريخية، والإتساع الرائع في

معارفنا المادية وقوانا لا يكون جوهر الحضارة، وإنما يتوقف هذا الجوهر على الاستعدادات العقلية عند الأمم والأفراد، وما عداها فليس إلا ظروفاً مصاحبة للحضارة لا شأن لها بجوهرها"[5].

ويفصل ول ديورانتwilliam james Durant عناصر الحضارة ودور الإنسان في تفعيلها بقوله في توصيف الحضارة بأنها:" نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وأنها تتألف من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي القلق والاضطراب"[6].

ويوضح مالك بن نبي ضرورة اجتماع العناصر الروحية والمادية في بنية الحضارة، في تعريفه لها بأنها:" جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل عضو فيه الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره"[7].

ويصور حركة التفاعل بين الفكر والمادة في تعريف النهضة التي تمثل الحركة التفاعلية في بنية آية حضارة مستوفية شروطها فيقول:" في ممارسة التحرير والتعلم والعمل والنهوض التي تتطور بها الحضارة بأنها:" مجموعة من العلائق بين المجال الحيوي حيث ينشأ ويتقوى هيكليا، وبين المجال الفكري، حيث تولد وتنمو روحها"[8]، فهو يشخص الحضارة على أنها مادية في هيكلها، وروحية في جوهرها، ونظر إليها أبو الأعلي المودودي على أنها نظام اجتماعي متكامل يشمل نشاطات الأفراد والمجتمعات، فيعرفها بأنها:" نظام متكامل يشمل كل ما للإنسان من أفكار وآراء وأخلاق وأعمال في حياته الفردية أو الأسرية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، أو السياسية"[9]. فتكون الثقافة بذلك عنصراً من عناصر الحضارة إذا دلت على مجموعة المعارف التي يجعلها الفرد في جماعته سواء ما تعلق منها بالقيم أو مجموعة الأفكار المشتملة للتوجهات الفكرية.

ويعرفها محمد حسين بهذا المعنى الشامل قائلاً بأنها:" كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه، عقلاً وخلقاً ومادة وروحاً، ودیناً، ودنيا"[10].

ويوصل حسين مؤنس بين الإنسان والحضارة، حيث يفعلها بحركته الفكرية والعملية فيقول:" والحضارة في مفهومها العام هي ثمرة كل جهد، يقوم به الإنسان

لتحسين ظروف حياته سواء كان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود، سواء كانت الثمرة مادية أو معنوية"[11].

ويوائم توفيق السبع بين الثقافة والمدنية في مكون الحضارة في تعريفه إياها حيث يقول بأنها:" الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة وهي مجموع الحياة في صورتيها المادية والمعنوية "[12]. فتتشكل الحضارة مادياً يعبر عنه بالمدنية، وتشكلها معنوياً وقيمياً ومعرفياً يعبر عنه بالثقافة.

ومن خصائص الحضارة أنها ظاهرة جمعية، فهي وإن كانت منطلقة من جهود أفراد فإنهم لا يشكلون ممارسة في مساق حضاري إلا إذا كانوا منضويين في منظومة جمعية، أما الإبداع الفردي إذا كان منعزلاً فلا يمثل مظهراً حضارياً، حيث لا حضور للروح الجماعية التي هي أصل في بنية هذه الظاهرة المتطورة بالمجتمع أو الأمة من السكون إلى الحركة، ومن العزلة إلى التفاعل، ومن وضع بدائي أو بدوي إلى وضع تطوري أو حضري، فالإنسان فاعل في الحضارة بحركته المنسجمة مع جماعته، أما إذا كانت حركة في معزل عن سياق جماعته فهو لا يمارس عملاً حضارياً مهما بلغت درجة إبداعه، حيث الحضارة عمل تمضوي جماعي يقوم على استمدادات فكرية، وأدوات مادية، لايتشخص في الواقع بالفكر المجرد، ولا بالعمل المفرغ من الفكر، وهو يتطلب الفكر المغذي بالقيم الروحية وليس الفكر المركب من نسق مادي آلي، لأنه عند ذلك يتعرض لخطر المصادمة والتلاشي.

المبحث الثاني ـ مفهوم الحضارة في القرآن الكريم:

ولم يتعرض القرآن الكريم للفظ الحضارة بهذه الصيغة، مع ذكره الفعل حضر قيما يدل على المجئ أو المشاهدة، كما عبر باسم الفاعل بصيغة الجمع بقوله تعالى:﴿**ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾البقرة، الآية **196**، وهي أقرب صيغة دالة على ما يقارب معنى الحضارة بمدلول الاستقرار الذي هو خصيصة من خصائص الحضارة، أما الفعل حضر، فمدلوله شهد لقوله تعالي:﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ**﴾البقرة، الآية **180**، وقال تعالى:﴿**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى**﴾النساء، الآية **8**، وقال تعالى:﴿**وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ**﴾النساء، الآية **128**، وإن كان القرآن الكريم لم يحفل بمفهوم الحضارة من الوجهة الدلالية، فإنه تحدث في آيات متعددة عن تسخير ما في الكون للإنسان وتمكينه من الطبيعة، والتوجه إليه يحثه على نشر الإصلاح في الأرض ونهيه عن الفساد فيها،

حيث الإصلاح نهوض بالحضارة بعنصريها المادي والقيمي، والفساد نقض لها، فوصف وظيفة الإنسان بأنه خليفة يتمثل فيه نموذج الإعمار في الأرض تحقيقاً للجانب المادي في الحضارة، وعبادة الله تحقيقا للجانب الروحي فيها حيث قال تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾البقرة، الآية **30**، فآدم وذريته خلقهم الله لعمارة الكون، بالبناء المادي القاصد إلى ممارسة القيم التي تقوم على الوحي، وتتمظهر في سلوك الإنسان بالعبادة، فالاستخلاف عمارة وعبادة أي مشروع حضاري يضطلع به الإنسان، يقول الشعراوي:" الله جعل الملائكة يسجدون لآدم ساعة الخلق، وجعل الكون مسخراً له فكأنه خليفة الله في أرضه، أمده بعطاء الأسباب، فخضع الكون له بإرادة الله، وليس بإرادة الإنسان"[13]، فلا تحمل كلمة خليفة دلالتها الحرفية، بل المراد ينفذ إرادة الله وحكمه، لأن الله لا يغيب عن خلقه، فلا يحتاج إلى من يعقبه، فالتعبير أوسع من ضيق الحروف، لذلك خاطب الله سبحانه داود النبي-عليه السلام- وقد تمثلت فيه هذه المهمة أعظم تمثيل:﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾**ص، الآية26**، وخاطب الناس بصفة الاستخلاف فقال:﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾**يونس، الآية14**، وقال في قوم نوح الذين آمنوا:﴿**فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ**﴾**يونس، الآية73**، وقال على لسان موسى-عليه السلام- يخاطب قومه:﴿**قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾**الأعراف، الآية 129.**

وعبر القرآن بالتمكين في شأن بناة الحضارة القائمة على العمارة والعبادة، فوعد المؤمنين العاملين على وفق منهجه بالتمكين والعمل يشمل العبادة والسعي للتلازم الوثيق بينهما، فقال تعالى:﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً**﴾**النور، الآية55،** فالإيمان والعمل الصالح مقصد الاستخلاف والتمكين جزاؤه في الدين مع تحصينهم من شعور الخوف، وإمدادهم بالأمن، لكي تتم مهمتهم الحضارية التي تبلغ ذروتها في العبادة الخالصة لله تعالى، وقال تعالى في أن المؤمنين يخلفون أصحاب عمارة

الأرض وارثين لها بنصرة الله لهم عليهم:﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ**﴾القصص، الآية5، 6.

وأثنى القرآن على من مكنهم في الأرض فحافظوا على قيم الإيمان والعبادة فقال تعالى:﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**﴾الحج، الآية41.

ورسم القرآن صوراً لنماذج ممن مكن لهم في الأرض، بإقامتهم لحضارة عامرة بالمنجز المادي والقيمي مثل يوسف وداود وسليمان –عليهم السلام- حيث آتاهم الله الملك والإيمان والحكمة، فكان إتيان الملك منجزاً حضارياً مادياً، وكان الإيمان والحكمة منجزاً قيمياً دينياً، فقال على لسان يوسف-عليه السلام-:﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾يوسف، الآية 101، وقال تعالى في وصف داود:﴿**وَآتَاهُ اللَّهُ المُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ**﴾البقرة، الآية251. وقال في شأن سليمان-عليه السلام-:﴿**فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ**﴾ص، الآيات 36، 37، 38، وقال في شأن الرجل الصالح ذي القرنين:﴿**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً**﴾الكهف، الآية 84.

فالآيات القرآنية تلمح إلى البناء الحضاري القويم بتوازن العنصرين المادي والقيمي، فكانت الإشارة إلى الأول بما يدل عليه من ملك وتمكين مادي والإشارة إلى الآخر بما يدل على الإيمان والإصلاح، كما بين أن طغيان المادة على الروح يؤدي إلى الفساد، والتوازن بينهما يؤدي إلى الصلاح، من مثل قوله تعالى:﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾**الأعراف، الآية 95.**

فالتعبير بأهل القرى دلالة على الجانب المادي في ما تحويه تلك القرى من عمارة وحركة وحياة، والإيمان والتقوى الوصف الذي يلزم أن يراعيه سكان تلك القرى، أما إذا انفرطت العلاقة بين المادة والقيمة حل الخراب كما وقع لحضارات عاد وثمود، وحضارة فرعون، فأهلك الله حضارة عاد بسبب الكفر والطغيان على الرغم من علو شأنها في العمران، وكذلك ثمود، وفرعون العنيد، قال تعالى في تصوير إلحاق الفساد بهم:﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي البِلادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي البِلادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا**

الفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾الفجر، الآيات 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14.

وقال تعالى:﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيةٍ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾الحاقة، الآيات 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10.**

إن الإنسان في المفهوم القرآني خليفة الله في أرضه، ينفذ تعاليمه، ويسخر ما في الأرض لمنفعته، فهو لا ينزاح إلى الزهد والترهب، ولا يدعي السيطرة على الكون وهو مدعو في القرآن إلى العمل والتطور، كما هو مدعو إلى الإيمان، والتخلق بقيم الوحي، قال تعالى:﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾لقمان، الآية20**. وقـــال تعالى في مقام العمل والتطوير:﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾التوبة، الآية 105.**

فالقرآن يؤصل الالتزام الروحي ويفعل النشاط المادي للإنسان في تطوير الحياة النافعة في توازن لا خلل فيه، فالعبادة والعمارة عنصران متعادلان في الحضارة فإذا غمط إحدهما الآخر كان الانهيار، لذلك قرن القرآن الإيمان بالعمل الصالح في كثير من الآيات، ومدلول العمل الصالح يعم كل ما يصلح العلاقة بين الله والإنسان، وما يحقق مصالح هذا المخلوق المكلف بأحكام دينية ورسالة بنائية في حياته الدنيا.

وقد اعتنى القرآن الكريم باظهار المقصد الجمالي الذي هو من المكونات الفنية في الحضارة الإنسانية الراشدة، فلفت تعالى الأنظار إلى السماء وما فيها من إبداع الصنع وما زينها الله به من النجوم والكواكب:﴿**وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾فصلت، الآية 12.**

ووجه الأنظار إلى الأرض وما فيها من جمالية نباتية وحيوية، فقال سبحانه:﴿**وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ق، الآية 7.**

وقال تعالى:﴿**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ق، الآيات 9، 10**، وقال تعالى:﴿**وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ**

مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾الرعد، الآية 4، وقال تعالى:﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَباً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾الأنعام، الآية 99،** وصور القرآن الكريم جمالية الأنعام في مشاهدة الإنسان لها وهي تعود بطاناً وتخرج إلى المراعي لتسرح فيه، فقال تعالى:﴿**وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾النحل، الآيات 5، 6،** بل ولفت نظر الإنسان إلى جمالية نظام النحل في خلاياه فقال سبحانه:﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾النحل، الآيات 68، 69.**

وأظهر القرآن جمالية خلق الإنسان واعتداله، فقال تعالى:﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾التين، الآية 4.**

ولا شك أن عناية القرآن بإبراز جمال الكون والأحياء والإنسان فيه عناية بالمدد الحضاري الذي يعد الإنسجام الجمالي عنصراً ذا أهمية بالغة.

المبحث الثالث ـ العوامل المؤدية إلى السقوط الحضاري في القصص القرآني:

إن كل حضارة لها دورتها التي تحياها ثم تضمحل أو تتلاشى بقدر ما فيهامن عناصر البقاء، فإن الحضارة ذات القيم السامية تضعف في دورة من دوراتها لكنها ما تنفك أن تزدهر من جديد مثل النبات في الأرض الذي يصبح حصيداً عند جفاف مياهه وانتهاء موسم إزدهاره، لكن بذوره تبقى في الأرض تنتظر سوانح الإنبات من جديد، فتلك الحضارة ذات القيم، أما الحضارة المفرغة من تلك القيم، فإنها لا تحمل بذوراً مخصبة بل هي خاوية الجذور، وعقيمة البذور.

يقول المودودي:" وقد حدثنا القرآن عن حضارات قديمة بلغت درجة رفيعة في الامتياز المادي، ولكنها عندما أخذت زخرفها وازينت، وظن أهلها أنهم قادرين عليها آتاها أمر الله فصارت حصيداً كأن لم تغن بالأمس ثم بقيت معالمها... أطلالاً تثير

الشجن، وتبعت على العظة والتأسي... والقرآن يطلب إلينا أن نسير في الأرض وننظر في تلك الآثار، لتستنبط العظات والعبر، وتتعرف على أحداث التاريخ"[14].

ويمكن إجمال عوامل انهيار الحضارة من خلال القصص القرآني في العوامل الآتية:

الفساد الدينـــــــــي: لما كان الدين الموحى به من الله يحمل قيماً تحقق صلاح الإنسان ونفعه في الدنيا والآخرة، فإن التفريط في الإيمان بها وإمتثالها يحطم حياة الأفراد، ويهدم بنية الحضارة:" وبحسب القاعدة القرآنية، لا يصيب أمة ما أي نوع من أنواع الدمار والخراب إلا إذا تركت منهج الخير والصلاح، وأخذت تسلك مناهج الشر والفساد والعتو والعصيان"[15]، قال تعالى في تقرير هذه القاعدة:﴿**فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾العنكبوت، الآية40. وتلك أمة نوح أهلكها الله بسبب تأصل الفساد العقدي، وانتشار العبث والشر بين أفرادها، ولم يستمعوا إلى نصح نبيهم، وخفت صوت المصلحين فيهم، وارتفع صراخ المعتدين، وكانوا أول أمة اتخذت أصناماً آلهة، فأهلكهم الله بكفرهم وفسادهم، قال تعالى:﴿**قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَاراً وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَداًّ وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً**﴾**نوح، الآيات 21: 25** ، وحضارة عاد هلكت كما هلكت حضارة نوح-عليه السلام-، حين اشتطوا في الكفر والفساد، ولم تغن عنهم قوتهم التي بلغت درجة عالية لم تبلغها أمة من بعدهم قال تعالى:﴿**وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ إِنَّ عَاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ**﴾**هود، الآيات59، 60.**

يقول فضل عباس:" والقوة حين تكون بعيدة عن الحق وحين تنبعث من النفوس المعرضة المستغلية، تصير سبباً من أسباب الطغيان، بل من أخطر أسبابه، إنها تحمل أصحابها، فتنسيهم أول بديهة من البديهات، وهي أنهم خلقوا ليموتوا، فبقدر ما تجدهم يبنون في الدنيا مشيدين متفاخرين، فإنهم يهدمون من جانب آخر بنيائهم الإنساني، فيصبح البطش طبيعتهم، والتجبر دينهم، فلا تزداد قلوبهم إلا قسوة "[16].

وبمثل ذلك سقطت حضارة ثمود بمعول الفساد في الاعتقاد وإفساد دينهم بالعصيان والتمرد، وعقروا الناقة التي كانت معجزة لصالح-عليه السلام- من أجل إقناعهم بما أرسل به

من قيم إيمانية وخلقية قال تعالى في تصوير ما فعلوه فكان من أسباب دمار حضارتهم:﴿**فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾الأعراف، الآيات 77، 78.

وهلك قوم فرعون وضعفت حضارتهم ولكنها لم تسقط لكون موسى وهارون- عليهما السلام- أورثهما أرض مصر كما أورث بني إسرائيل، حيث قال تعالى:﴿**فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾**الشعراء، الآيات57، 58، 59.**

وعقب القرآن على مشهد هلاك فرعون وقومه بقوله:﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾هود، الآيات**100، 101، 102.**

وهكذا كانت من سنن الله في الأمم وحضاراتها أنها إذا ضلت وجحدت قيمها الدينية فإنه يسلط عليها العذاب، ويحكم عليها بالاندثار.

وكان مصير حضارة بني إسرائيل الانهيار بعد ذهاب أثر دعوة سليمان-عليه السلام- حيث تمادوا في العصيان فسلط عليهم جيرانهم من الأمم الأخرى وتقسمت مملكتهم بين الشمال والجنوب إلى أن اجتاحهم البابليون فدمروا حضارتهم تدميرا، وأصبحوا كلما حاولوا إحياء حضارتهم دمرها الله؛ لأنهم فرطوا في قيمة الإيمان، وتوعدهم الله بأنه كلما عادوا إلى العصيان والحجود، عاد عليهم الإهلاك، قال تعالى في تصوير ذلك:﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُواً كَبِيراً فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً**﴾**الإسراء، الآيات 4: 8.**

وفي سبأ عبرة في انتقاض الحضارة بالكفر والعصيان، وأصبحت حديثا يروى بعد أن كانت معالم للحياة الرغدة، قال تعالى في بيان معول الهدم لهذه الحضارة:﴿**فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الكَفُورَ**﴾سبأ،

الآيات 16، 17.

والقرآن الكريم يعلمنا بأن الله يهلك كل قرية مردت على شريعته، ويسقط كل حضارة أعرض أهلها عن هديه، قال تعالى:﴿**تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ**﴾**الأعراف، الآية 101.**

ووعد الله رسوله والمؤمنين أن يورثهم خيرات من حاد عن الحق من اليهود الذين كانت لهم حياة خصبة هانئة في أطراف المدينة، فقال تعالى:﴿**وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً**﴾**الأحزاب، الآيات 26، 27.**

الفساد الخُلقي: من المرصود في منطق التاريخ أن الأمم إذا تلوثت أخلاق أفرادها سقطت، ويكون السقوط أفظع في الحضارات مهما كانت هياكلها ضخمة البنية، إذا خلت في جوفها من الأخلاق، ذلك أن الأخلاق رابطة التوافق والتعامل الواقي من الصدام بين الأفراد، قال ابن خلدون:" فمن استحكمت فيهم صفة الرذيلة بأي وجه كان وفسد خلق الخير فيهم، وإذا كثر ذلك في المدينة أو الأمة تأذن الله بخرابها وانقراضها"[17].

ومن أبرز الشواهد على سقوط الحضارة لفساد الأخلاق مشاهد قصة قوم لوط التي تكررت بين السور[18]، من تلك المشاهد المتشابهة في العرض قوله تعالى:﴿**وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾**الأعراف، الآيات 80: 84.**

وقال في صيغة أخرى مفصلاً أسلوب فسادهم وواقعة إهلاكهم بالعذاب:﴿**فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلاَ تُخْزُونِ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي**

سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾الحجر، الآيات 61، 74.

قال المودودي:" وأمة لوط-عليه السلام- قد أخذها الله بعذابه عندما بلغ من تبلد حسهم الخلقي ووقاحتهم ونذالتهم أن عادوا يرتكبون الفواحش علانية في المجالس والأسواق، ولم يبق فيهم شعور بكون الفواحش فواحش"[19]، فصاروا ينظرون إليها كأنها حق من حقوقهم، فقد ألمحوا إلى هذا الشعور الغريب عندما قالوا للوط حين جادلهم بأن الفاحشة ببناته أهون مما يفحشون فيه، فقالوا:﴿**قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾هود، الآية 79**، فكأن إتيان الرجال صار حقاً لهم.

يقول فضل عباس:" إن أول ما يوقفنا ونحن نقرأ قصة لوط-عليه السلام-، هذا السلف وهذا الترهل، بل وهذا التدني والانحذار والتعري من كل رداء من أردية الإنسانية، ذلك بحق ما كان عليه أولئك القوم الذين ابتلى الله بهم لوطا -عليه السلام- فأرسله إليهم، لقد كان القوم ممعنيين في الغي مستغرقين في الفحش، لايبالون بما يمكن أن يقال"[20].

وقال الطاهر ابن عاشور لافتاً النظر إلى أن قوم لوط لم يكونوا كافرين بل كانوا أول من جاهر بارتكاب الشذوذ الجنسي:" إن الله عاقبهم بذلك العقاب على هذه الفاحشة، وأن لوطاً-عليه السلام- أرسل إليهم، لنهيهم عنها، لا لأنهم مشركون بالله، إذ لم يتعرض له في القرآن بخلاف ما قصَّ عن الأمم الأخرى... وقد علم أن الله أصابهم بالعذاب عقوبة على تلك الفاحشة"[21].

في حين كان أهل مدين كافرين، ومرتكبين لفاحشة اقتصادية منافية للأخلاق الإنسانية، وهي التطفيف في المكيال والميزان، وقد تفشى ذلك حتى أضحت الأمة كلها تعيش على الغش والاحتكار، وفي سبيل تحقيق منافعهم غير المشروعة هددوا رسولهم شعيباً-عليه السلام- قال تعالى في الإعلام بموقفهم معه بعد أن وعظهم ناصحاً لهم بترك التطفيف والبخس:﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِياً إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾هود،الآيات91،92.**

إن القصص القرآني يؤكد لنا في مشاهده المتعلقة بهذا المعول الهادم للحضارة أن الفساد في الأخلاق فجوة عظيمة تسبب في انهيار البُنية الاجتماعية، وأن الأخلاق ضابط لأمن المجتمع، حيث تنظم العلاقة بين الأفراد بوازع داخلي في النفس، وليس وازعاً خارجياً من القانون الذي لا ينفذ إلا في العيان أمام الناس يقول محمد هيشور:"

ويبدو مؤشر الخطر والسقوط يظهر في الأمة ويستفحل عندما يضعف فيها قانون الأخلاق، وتكثر الضوابط الأصطناعية من أجل استمرار سير الدولة وتماسك الأمة، وتُعد ظاهرة كثرة القوانين وتشديد حراسة الشرطة في الدولة علامة مرضية تسير بالأمة والمجتمع نحو الانهيار، والتفكك والسقوط"[22].

الترف والترهل: إن هذا العنصر له صلة بالفساد الخُلقي، حيث هو وجه من وجوهه، غير أنه لأثره البالغ في انهيار الأمم وسقوط الحضارات يحتاج إلى تخصيصه بالذكر، حيث إن حياة الحضارة قد تمتد قليلاً مع أنواع الفساد الخلقي الأخرى، لكنه في مفسدة الانغماس في الترف، والتمادي في فضاء الشهوة، يسارع بسقوط حضارة تبتلى بهذا الداء، قال ابن خلدون:" ومن مفاسد الحضارة الإنهماك في الشهوات والاسترسال فيها بكثرة الترف، فيقع التفنن في شهوات البطن من المآكل والملاذ والمشارب، ويتبع ذلك التفنن في شهوات الفرج... وإذا فسد الإنسان في قدرته ثم أخلاقه ودينه، فقد فسدت إنسانيته، وصار مسخاً على الحقيقة."[23].

ومن النماذج القصصية البيّنة في القرآن عن هذه الرذيلة ما قصه القرآن من لقطات من خلال قصة ثمود، حيث أظهر انصرافهم إلى الترفه والاشتهاء معرضين عن الواجبات الدينية والحيوية، فقال تعالى على لسان رسولهم صالح-عليه السلام-:﴿**أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ﴾الشعراء،الآيات 146،147،148،149**، ثم اشتد الخلاف بينه وبينهم إلى درجة تهديدة بالقتل:﴿**قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ وَكَانَ فِي المَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّه وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾النمل،الآيات47،48،49**. قال فضل عباس في إشارة قصة ثمود إلى هذا العنصر السلبي السالب لقيمة الأخلاق:" يُذكر صالح قومه بالنعم، وأن الله جعلهم خلفاء الأرض وسخر لهم سهولها وجبالها... ولكن كل ذلك لم يجد شيئاً مادام البطر قد تملك النفوس، وما دام اللهو قد بلغ منها مبلغاً، والابتلاء بالسراء قد يكون أشد عاقبة وأنكى من الضراء، وهذا ما وجدناه من ثمود الذين استحبوا العمى على الهدى"[24]. ويقول توفيق سبع في وصفهم:" فانحرفوا عن الهدى، وأسرفوا في المعاصي، وأمعنوا في الترف...فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر"[25].

وكانت هناك علاقة طردية بين الترف الفاحش، والعرف الفاسد، وانهيار الحضارة، أشار إلى ذلك القرآن في بعض آياته، مثل قوله تعالى:﴿**وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾الزخرف، الآية 23.** وقال تعالى:﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾سبأ، الآية 34.**

ووصف القرآن المترفين في مشهد أهل الشمال استشرافاً لما سيحدث يوم القيامة، قال تعالى:﴿**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ لاَ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾الواقعة، الآيات من 41: 45،** فالمترف منغمس في ملذاته يسعى إلى الإبقاء على حالته هذه، لما فيها من المتعة التي تصرفه عن مصالح الأمة، ومتطلبات الالتزام بالقيم مع ما يتسلل إليه من ضعف وترهل، قال الزمخشري في تفسير آية الزخرف ببيان وصف الترف:"مترفوها: الذين أترفتهم النعمة، أي أبطرتهم، فلا يحبون إلا الشهوات والملاهي، ويعافون مشاق الدين وتكاليفه"[26]، وكان المنافقون في مدينة الرسول-ﷺ- على هذه الشاكلة، فهم يخلدون إلى الترف والسخرية ويختلقون العذر في الإمتناع عن الجهاد مع الرسول-ﷺ-، وصف القرآن تلك الدعة التي كانوا يعيشونها، والأعذار التي كانوا ينتحلونها، فقال تعالى:﴿**فَرِحَ المُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لاَ تَنفِرُوا فِي الحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَراً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾التوبة، الآيات 81، 82.**

وفي صورة أخرى، يرسم القرآن مشهداً للمنافقين يظهر إغراقهم في الاستمتاع، يقول تعالى موجهاً الخطاب إلى المنافقين:﴿**كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾التوبة، الآية 69.** فجمع بين المنافقين والكافرين الأولين في وصف الاستمتاع بما أوتوا من مباهج الدنيا، وانصرافهم بشهواتهم عن واجباتهم، مما يسبب لهم البوار.

وللترف أعلام يلتف حولهم من على أسلوبهم في الاستمتاع والبطر والإسراف والتبذير، وكان قارون نموذجاً في القصص القرآني لهؤلاء، فقد آتاه الله مالاً كثيراً فاكتنزه، ولم ينفق منه إلا على نزواته، فاجتمع عنده مال جمده في خزائنه، وبلغ من كثرته أن الجماعة القوية تحمل مفاتيح تلك الخزائن، وهو وإن كان من بني اسرائيل

أعداء فرعون، فإنه تحالف معه ووالاه وصار من ثالث ثلاثة في مملكة مصر، فرعون وهامان وقارون، قال تعالى:﴿**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ القصص، الآيات 76،77،78،79.**

وكانت العاقبة أن خسف الله بقارون وبداره وما فيها من كنوز، فصار خيراً للاعتبار، طغى قارون بماله، وهو من المترفين الذين أسرفوا في جمع المال وسوء إنفاقه، وأخذ ينفق منه في زينته وترفه وشهواته، معرضاً عن إنفاقه في الخير، لأنه بغى بماله، ومن بغى لا ينفق ماله في وجه من وجوه الخير، قال ابن كثير:"﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾، قال ابن عباس: يعنى المرحين وقال مجاهد: يعني الأشرين البطرين، الذين لا يشكرون الله على ماأعطاهم"[27]، وتشير صفة الفرحين إلى ما كان يغرق فيه من التنعيم والترف.

ومن المشركين في عهد نبوة محمد-ﷺ- نموذج من هؤلاء الأعلام، هو الوليد بن المغيرة المخزومي الذي كان قارون هذه الأمة، قال تعالى في مشهد يصف كثرة ماله وسطوة جاهه، وضلاله بأن أعرض عن الحق بعد أن أدرك إعجاز القرآن، فوصفه بالسحر بطرا ورئاء الناس، حريصاً على دنياه وما فيها من مال وبنين ورفه، معرضاً عن آخرته، قال تعالى:﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدوداً وَبَنِينَ شُهُوداً وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً﴾المدثر، الآيات 11: 17** قال ابن كثير:" ومهدت له تمهيدا، أي مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك"[28].

الجهل والظلم: إن الجهل هنا لا يُعنى به عدم الإلمام بالقراءة والكتابة بل هو القصور في فهم عواقب الأمور، واجتناب الحكمة وحسن التدبير وهو كثيراً ما يكون قرين الظلم؛ لأن الظالم لا يقدر مآلات الأمور ولا يتبصر في عواقبها، لطغيان رغبة التشفي والاستعلاء لديه ويُعد الجهل والظلم من معاول الهدم الحضاري، يقول محمد

هيشور:" ما انتشر الجهل والظلم في مجتمع، أو حضارة إلا ودب فيها القلق والاضطراب، والضعف والهوان، ثم أصابها التدهور والانهيار"[29].

ومن المشاهد الدالة على ذلك من قصص القرآن جهل وظلم قوم صالح-عليه السلام- حيث حكى عنهم القرآن قولهم لنبيهم:﴿**قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ مَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾**الشعراء،الآيات153،154.** يقول الطاهر ابن عاشور في هلاك ثمود ومن قبلهم وبعدهم من الأمم بسبب الظلم:" وأهل المدن الذين أهلكهم الله لظلمهم كثيرون منهم من ذُكر في القرآن مثل عاد وثمود، ومنهم من لم يُذكر مثل طسم وجديس، وآثارهم الباقية في اليمامة... والقصور المشيدة، وهي المخلفة عن القرى التي أهلكها الله، كثيرة مثل: قصر عمدان في اليمن، وقصور ثمود في الحجر، وقصور الفراعنة في صعيد مصر"[30].

ومن النماذج التي تمثل أعلاماً للظلم والجهالة لم تذكر اسماؤهم في القرآن، ولكن ذكرهم الله مثل صاحب الجنتين في سورة الكهف، وقصة أصحاب الجنة في سورة القلم، فجاءت قصة صاحب الجنتين مصورة لاغترار الإنسان بما لديه، وجهله بمآلات الأحوال، وظلمه لنفسه بالعصيان ولغيره من أبناء مجتمعه بالطغيان والحرمان، قال تعالى:﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَراً وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنقَلَباً**﴾**الكهف، الايات من 32،إلى36،** ولم تنفع معه نصيحة صاحبه الذي عاتبه على طغيانه، ودعاه إلى الرجوع إلى الله فلم يمتثل وأصرَّ على كفره وطغيانه، فسلط الله على جنته جائحة فهلك جميع ما فيها:﴿**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً**﴾**الكهف، 42،** فكما أن جنة هذا المشرك الطاغي بنعمة الله عليه هلكت بسبب جهله وظلمه، فكذلك كل حضارة على صعيد الأمة تنهار إذا نهج أفرادها أسلوب صاحب الجنتين.

أما أصحاب الجنة فإن السباق يدل على أنهم لم يكونوا مشركين، بدليل توبتهم واستغفارهم بعد هلاك جنتهم، ولكنهم كانوا مانعين للمساكين، ظالمين لأنفسهم ومجتمعهم، جاهلين بعاقبة ما فعلوا فأيقظهم ما حل بجنتهم فاستغفروا معترفين بما

اقترفوه من ظلم، قال تعالى في تصوير حالهم، وحال جنتهم:﴿**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلاَ يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ**﴾**القلم، الآيات 17: 32**، فهم وإن هلكت جنتهم بسبب ظلمهم، يأملون في أن يرزقهم الله خيراً منها وقد توجهوا إليه بالتوبة والعزم على ترك الظلم، فكذلك على الصعيد الأممي فإن أية حضارة تبدأ في السقوط، فيستدرك أفرادها أمرهم، ويعيدون النظر في أساليب حياتهم، ويكفوا عما باشروه من فساد وظلم يمد الله بعد ذلك في عمر حضارتهم بقدر محافظة أجيالهم من بعدهم على عوامل الإستمرار ووسائل البقاء المعنوية والمادية.

ولقد كان الظلم والجهل أول هادم لحضارة فردية أقامها الإنسان الأول، يسطر القرآن ذلك بحروف إعجازه في قصة قابيل وهابيل، إذ قتل الأول أخاه عدواناً وحسداً حيث تقبل الله قربان المقتول ولم يتقبل قربانه، فكان خسرانه لطمأنينة نفسه وأمنه، وشعوره بجهله أمام طائر الغراب الذي مثل أمامه مشهداً يشخص له مأساته، ويلفته إلى جهله وسوء عاقبته، وهنا لا يهتم القرآن بذكر اسمي الأخوين؛ لأن العبرة بالمضمون، وليس بالتسمية، قال تعالى:﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**﴾**المائدة،الآيات من 27إلى31**، فارتفع المقتول في قمة عالية من سمو النفس التي تضحي من أجل تأصيل السلام، وهبط القاتل إلى هوة سحيقة يمكن أن تهبط إليها نفس تمارس العدوان.

وفي نموذج آخر بيّن لنا القرآن في مشهد حافل بالعبرة، كيف يتحول الإنسان بصلفه وغروره من رتبة العلم إلى دركة الجهل، فيكون رمزاً للانحطاط بعد الإرتفاع،

وكذلك شأن الأمة، لأن الفرد نواتها، وما ينطبق عليه ينطبق عليها، قال تعالى في شأن عالم من علماء بني اسرائيل تمرد على مقتضيات علمه، وتنكر لآيات الله التي كان من العالمين بها:﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾**الأعراف، الايات175،176.**

إن هذا المشهد يصور نموذج الإنسان الذي يهبه الله تعالى نعمة العلم، فينحرف بها إلى الفساد والضلال، فيهبط إلى منزلة كمنزلة الكلب في حالة تنفسه، حيث تزدحم أنفاسه، فيضطر إلى أن يلهث، فيصير ذلك الإنسان ضائقاً بنفسه وبمن حوله، ينشد الراحة فلا يجدها؛ لأنه مطارد من ذاته التي شطرها بين رغباته وعدوانه بعد أن ضيع علمه ونسي حكمة آيات ربه.

وقد تنهار حضارة أمة بسبب عدوان أهلها، وتعقبها حضارة أخرى تملك قيماً بانية على أنقاض الحضارة المنهارة، كما خلف نصارى الحبشة المؤمنون ذا نواس اليهودي ومن آزره من جنوده في ظلم نصارى نجران حيث وضعهم في الأخدود وحرقهم، وحكا ذلك القرآن في سورة البروج بإشارات معبرة عن سقوط حضارة الظلم، قال تعالى:﴿**قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ**﴾**البروج من الآية4إلى الآية8.**

وقد جنحت خيالات المفسرين سابحة في تفاصيل هذه القصة التي أوردها القرآن موجزة، لتكون ومضات واعظة، فلم يعرض فيها أسماء أعلام، ولا حوارات ولا حوادث مفصلات، ورد في تفسير أبي السعود أنه:" وقع إلى نجران رجل ممن كان على دين عيسى-عليه السلام- فدعاهم، فأجابوه، فسار إليهم ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير، فخيرهم بين النار واليهودية، فأبوا، فأحرق منهم إثني عشر ألفاً في الأخاديد، وقيل سبعين ألفاً، وذكر أن طول الأخدود أربعون ذراعاً، وعرضه اثنا عشر ذراعاً"[31]، والقرآن الكريم لم يشغل عقل القاريء له بمثل هذه الأخبار والأرقام؛ لأن مقصده الاعتبار وليس التسلية والاستقصاء.

وعلى مثل ذلك جاءت قصة أصحاب الفيل موجزة في سورة من قصار السور، لكنها وافية في تأصيل العبرة في أن ظلم القائد الجهول بهدم حضارة كانت قائمة، قال

تعالى:﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾الفيل،1،2،3،4،5**، ذكر أبو السعود أن هذا الحدث يشير إلى إرهاصات ظهور الإسلام لما روي:" أن القصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي-ﷺ-[32]...(حيث إن) أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بصنعاء كنيسة، وسماها القليب، وأراد أن يصرف إليها الحاج، فخرج رجل من كنانة فقعد فيها[33] ليلاً، فأغضبه ذلك... فحلف ليهدّمن الكعبة، فخرج مع جيشه، ومعه فيل له اسمه محمود وكان قوياً عظيماً، واثنا عشر فيلاً غيره... وقيل كان معه وحده، فلما بلغ المغمس خرج إليه عبد المطلب، وعرض عليه ثلث أموال تهامة، ليرجع فأبى، وعبأ جيشه، وقدّم الفيل، وكان كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح، وإذا وجهوه إلى اليمن، أو إلى غيره من الجهات هرول، فأرسل الله تعالى طيراً سوداً، وقيل خضراً، وقيل بيضاً مع كل طائر حجران في منقاره، وحجراً في رجليه... فكان الحجر يقع على رأس الرجل، فيخرج من دبره،... ففروا فهلكوا في كل طريق ومنهل"[34]، وقد وصف القرآن أثر حجارة السجيل فيهم فقال:﴿**فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾الفيل،5**، أي" كورق زرع فيه الآكال وهو أن يأكله الدود... أو قتب أكلته الدواب وراثته"[35].

الصراع الداخلي: إن القوة الحامية للحضارة من أفرادها قد تنقلب إلى قوة هادمة لها، وذلك حين يدب الخلاف بين أولئك الأفراد، وتشظى البنية البشرية للحضارة، فتؤول إلى السقوط، فكم من حضارة بلغت شأوا في الترقي، ودرجة عالية من التطور وتشققت من داخلها، وتشطرت أجزاؤها بعد التحامها، فذابت في حضارة أخرى أقوى منها، أو انصرفت من الوجود الحضري للإنسان، فقد تمتلك الحضارة قوة دفاعية أمام أعدائها، ولكنها تتعرض للشقاق الداخلي، وهو أسرع إلى السقوط وأمكن في تفتت عناصرها.

ويحكي القرآن نماذج من ذلك في قصصه كما في قصة ثمود، حين دب الشقاق بين القوم، فأدى ذلك إلى زوال ملك كان عظيماً، وحضارة كانت سائدة، فصّور القرآن الصراع بين المستكبرين والمستضعفين؛ حيث يمثل الفريق الأول الكافرين المتمردين على ما جاء به صالح-عليه السلام- ويمثل الفريق الآخر المؤمنين القلائل الذين اتبعوا صالحاً فنجوا من العذاب الذي دمَّر الله به ثموداً وحضارتهم فقال تعالى:﴿**قَالَ المَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُّرْسَلٌ مِّن**

رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾الأعراف، الآيات 75: 78.

وقال تعالى في صيغة أخرى تصور ذلك الشقاق الداخلي في قوم ثمود:﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾النمل، الآية 45.**

فقد شبت نار الخصومة بينهم فأحرقت ما كان من تراث حضاري، وبدأ الصراع المقوض لها. وعلى ذلك التشتت كان انهيار دورة من دورات الحضارة المصرية القديمة، حين دعا موسى فرعون وملأه إلى الإيمان، وقويت بدعوته أمة بني إسرائيل التي آمنت بما جاء به، وانشقت عن منظومة فرعون فأحدثت فجوة في مملكة فرعون، حتى كان غرقه وجنوده في اليم وسقوط حضارته التي قامت على المنجز المادي دون مراعاة للقيم الدينية القويمة، والمباديء الأخلاقية الصحيحة، وحدث الانشقاق كذلك من داخل القصر، حيث آمنت امرأته وبعض من حاشيته وسحرته الذين أحضرهم من مدائنه، قال تعالى في الإخبار عن إيمان امرأة فرعون:﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾التحريم، الآية 11**، وقال تعالى في إيمان رجل من أعيانه:﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾غافر، الآيات 28، 29.** وقال تعالى في انفراط عقد أتباعه بعد إيمان السحرة بدعوة موسى-عليه السلام-:﴿**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ قَالُوا لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾الشعراء، الآيات 46: 50،** فقد أدرك فرعون خطر عصيان بعض من أعيان قومه له ودخولهم في دائرة الصراع، وأتهمهم في صيغة أخرى حكاها القرآن بقوله تعالى:﴿**إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾الأعراف، الآيات 123، 124.**

ويتجلى أثر التصدع الداخلي في زوال الأمم والحضارات في مشاهد صورت أحوال بني إسرائيل في اختلافهم على أنبيائهم، وتفرق وحدتهم، من ذلك قوله تعالى:﴿**وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ**﴾**الأعراف، الآيات 168، 169.**

أما إذا تداركت الأمة أسباب الصراع، وسعت في جمع كلمة أبنائها، إذا ظهرت فيهم بوادر الشقاق وتداركت أمرها، حفظت حضارتها من الزوال، كما حدث لقوم يونس الذين لم يستجيبوا أول الأمر إلى دعوته، فخرج منهم مغاضباً، فندموا على مخالفته، وقرروا إتباعه والإيمان بدعوته، فتداركهم الله برحمته، ونجاهم من هوة السقوط، قال تعالى:﴿**فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**﴾**يونس، الآية98.**

لقد حاول المنافقون بالمدينة وما حولها أن يقيموا حضارة موازية لحضارة المسلمين فما أفلحوا؛ لأنه ليس لهم قيم تجمعهم، ولا يملكون الإرادة المجتمعة على الحق فانهار مشروعهم القائم على المخادعة والكيد، وكان الخوف يسكن قلوبهم، والتردد يستحوذ على خطاهـم، حتى تغشاهم الفناء، ولم يخلف من بعدهم خلف يحاول فعل ما أرادوا فعله، قـــال تعالى في توصيف خوفهم وخلافهم وضعفهم:﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلاَ نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوا لاَ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لاَ يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ**﴾**الحشر، الآيات 11: 14.** وفي موضع آخر تتمة لبيان خوائهم من داخلهم، على الرغم من التمظهر الخارجي، فيقول تعالى:﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾**المنافقون، الآية 4.**

إن قوماً بهذا الشعور المزدوج، وذلك الانشطار النفسي، والتصدع الجمعي، لا يقدرون إلا على السير نحو السقوط، ولا تستطيع أيديهم أن تشيد حضارة، ولا قلوبهم أن تقاوم قساوة الحياة ولا يثبتون أمام اجتياح الحضارات الأخرى.

الخاتمة:

إن القرآن الكريم يظهر في قصصه حقائق التاريخ وسنن الله في خلقه، ومن العبر المستفادة من ذلك أن أسباب سقوط حضارة ما قد تكون أسباباً لسقوط حضارة أخرى، وقد يكون زوال حضارة بسبب غلبها من حضارة أخرى، فكثيراً ما يكون الصراع بين الحضارات على وفق قانون التعاقب.

بعد استعراض مظاهر السقوط الحضاري في القصص القرآني، يمكننا أن نستخلص أن القرآن الكريم يقدم رؤية شاملة لظاهرة انهيار الحضارات، مستندًا إلى سنن إلهية ثابتة تحكم صعود الأمم وسقوطها. فقد بيّن لنا القرآن أن السقوط الحضاري لا يحدث فجأة، بل هو نتيجة تراكمية لعوامل متعددة، أهمها الظلم، والفساد، والاستكبار، والانحراف عن القيم الأخلاقية والدينية.

كما تؤكد القصص القرآني أن الأمم التي انحرفت عن منهج العدل، وأهملت الأخلاق والقيم، وتجاهلت رسائل الأنبياء، لاقت مصيرها الحتمي بالسقوط والدمار. وهذا ما تجلّى في قصص عاد وثمود، وفرعون، وسبأ، وبني إسرائيل، وغيرها من النماذج التي تمثل دروسًا خالدة للبشرية.

إجمالًا، تكشف القصص القرآني عن أن السقوط الحضاري ليس مجرد نتيجة لأحداث سياسية أو اقتصادية، بل هو عملية تاريخية تخضع لسنن إلهية ثابتة، أهمها العدل والفساد، والاستقامة والانحراف. ومن هنا، فإن الأمم التي تسعى للحفاظ على بقائها تحتاج إلى مراجعة سلوكها في ضوء هذه السنن، حتى تتجنب مصير الحضارات السابقة التي سقطت بفعل الظلم والاستكبار والانحراف عن القيم الأخلاقية والدينية.

إن العدل والإصلاح والتقوى هي ركائز استمرار الحضارات، بينما الظلم والفساد والتكبر هي مقدمات حتمية للزوال وبذلك، فإن فهم السنن الإلهية التي تحكم الحضارات يساعد على بناء مجتمعات أكثر استقرارًا وازدهارًا، ويضع أسسًا راسخة لنهوض الأمم بعيدًا عن مسببات الانهيار. ويبقى القرآن الكريم كتاب الهداية الذي

يوجه البشرية نحو طريق الإصلاح والتجديد، لتبقى الحضارات قائمة ما دامت ملتزمة بالقيم التي تحفظ استمراريتها.

من خلال دراسة السقوط الحضاري في القصص القرآني، يمكن استخلاص عدة نتائج مهمة تتعلق بأسباب الانهيار ومآلاته، ومنها:

1. تؤكد القصص القرآني أن السقوط الحضاري يؤدي غالبًا إلى الدمار الشامل للمدن والمجتمعات، كما حدث مع عاد وثمود وقوم لوط.
2. الزوال المادي قد يكون نتيجة لكوارث طبيعية (كالطوفان والرياح العاتية) أو بسبب الحروب والتفكك الداخلي.
3. الحضارات التي تتجه نحو الفساد والاستبداد غالبًا ما تفقد تأثيرها في التاريخ، ولا يبقى منها سوى آثار تدل على وجودها السابق، كما ورد في قوله تعالى**﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾الحاقة، 8.**
4. القرآن الكريم يبرز أن العقوبات التي حلت بالأمم السابقة لم تكن عشوائية، بل جاءت نتيجة لسلوكياتهم وانحرافاتهم. هذه العقوبات تختلف بين الإهلاك التام (كما في قصة قوم نوح) والعقوبات الجزئية مثل ما حل ببني إسرائيل من التيه والذل بعد انحرافهم.
5. يظهر السقوط الحضاري في القصص القرآني ارتباطًا وثيقًا بالترف والانحلال الأخلاقي، حيث أن المجتمعات التي بالغت في الترف غالبًا ما واجهت الفساد ثم الانهيار، كما حدث مع قوم سبأ.
6. الترف يؤدي إلى فقدان قيم العمل والاجتهاد، مما يضعف الأمة ويجعلها فريسة سهلة للانهيار.
7. من نتائج السقوط الحضاري ظهور الاضطرابات الاجتماعية والفساد السياسي، مما يجعل الأمة غير قادرة على حماية نفسها من الانهيار. مثال ذلك قصة فرعون الذي تسبب استبداده في هلاك قومه عندما أغرقهم الله في البحر.
8. القرآن الكريم يؤكد أن سقوط الحضارات ليس حدثًا استثنائيًا، بل هو جزء من سنن الله في الكون، حيث تخضع الأمم لقانون التداول الحضاري**﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾آل عمران، 140.**

الهوامـــــــــــــــش:

[1] - ابن منظور، محمد بن مكرم ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، اعتنى بتصحيحه، أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي (دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1419هـ 1999م)، مادة حضر، 196/4

[2] - الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق:محمد نعيم العرقسوسي،(مؤسسة الرسالة، ط8، 1426ه/2005م)، ص 376.

[3] - إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، (دار الفكر، بيروت، د . ط، 1415 ه)، ص 376.

[4] - مقدمة ابن خلدون،(بيروت، دار القلم، ط5، 1984م)، ص 162.

[5] - اشفيتسر إلبرت، فلسفة الحضارة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، (دار الإندلس، ط2)، ص 4.

[6] - قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، (بيروت، دار الجبل)، 3/1.

[7] - مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة: بسام بركة وأحمد شعبو،(دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1423ه/2002م)، ص 42.

[8] - شروط النهضة، ترجمة: عمر كامل، وعبد الصبور شاهين،(القاهرة، دار الفكر، ط3، 1969م)، ص 62.

[9] - الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها، ترجمة: محمد عاصم الحداد،(الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1)، ص 5.

[10] - محمد محمد حسين،الإسلام والحضارة الغربية،(دار الفرقان)، ص6.

[11] - حسين مؤنس، الحضارة الإسلامية(دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها) سلسلة عالم المعرفة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (1978م)، 15.

[12] - توفيق السبع، قيم حضارية في القرآن الكريم،(القاهرة، دار المنار، ط2، 1404ه/1984م)، ص 41.

[13] - تفسير الشعراوي،(القاهرة، مطابع أخبار اليوم)، 245/3.

[14] - توفيق محمد سبع، قيم حضارية في القرآن الكريم، 151/1.

[15] - أبو الأعلى المودودي، نحن والحضارة الغربية، دمشق، دار الفكر، ص 198.

[16] - فضل عباس، قصص القرآن، دار النفائس، عمان، الأردن(ط3، 1430ه/2010م)، ص 224.

[17] - مقدمة ابن خلدون، ص 294.

[18] - وردت القصة في سورة الأعراف، وسورة هود، وسورة الحجر، وسورة النمل، وسورة العنكبوت، وسورة الفرقان، وسورة الذاريات.

[19] - نحن والحضارة الغربية، ص 200.

[20] - قصص القرآن الكريم، ص 375.

[21] - محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (الدار التونسية للنشر،1984م)، 239/8

[22] - محمد هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة(ط1، 1417ه/1996م)، ص50.

[23] - مقدمة ابن خلدون، ص295.

[24] - قصص القرآن الكريم، ص248.

[25] - قيم حضارية في القرآن، 152/1.

[26] - الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، القاهرة، مطبعة مصطفى الحلبي)، 484/3.
[27] - مختصر ابن كثير، اختصار وتحقيق: محمد عاى الصابوني،(بيروت، دار الفكر، ط2، 1419ه/1999م)، 21/3.
[28] - مختصر ابن كثير، 566/3.
[29] - سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، ص38.
[30] - التحرير والتنوير،286/17.
[31] - تفسير إرشاد العقل السليم، لأبي السعود،(بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة،1994/1414)، 136/9.
[32] - سنة 571 بعد الميلاد.
[33] - قضى فيها حاجته.
[34] - تفسير أبي السعود، 200/9.
[35] - م . ن، 201/9